

الستينيات استطاع أن ينتقل من فئة قيد الدرس إلى فئة غير المسجلين.

قبل عامين أخبر طبيب القلب أبا خالد بحاجته إلى عملية قلب مفتوح مستعجلة، وحاول أبو خالد لدى وكالة الأتروا مراراً عليهم يساعده، ولكنه لم ينل منهم سوى الرفض. يضيف أبو خالد أنه «لولا مساعدة أهل الإحسان بعد الله لكان مصيري مجهولاً». ويقول أبو خالد إن تفرق غير المسجلين في مخيمات عدة لا يساعد على تجمعهم وتظاهرهم والضغط على الأتروا، ومع ذلك، فإننا قمنا ببعض الضغوط، وطالبنا الأتروا ببطاقة إعاشة لا تؤهلنا الحصول على الخدمات، ولكن تؤهلنا للعمل في الشركات التي تطلب تلك البطاقة العجائبية، على حد وصفه. ومعاناة أبو خالد تتكرر مع أبنائه الستة. تغادر أبا خالد والعبوات تحجب عينيه حين تذكر ابناً له استشهد في العام ١٩٧٦، وبناتاً استشهدت في العام ١٩٨٨.

حسونة أبو اللين لم يحتمل العدوان على حي الزيتون في غزة، فهاجر من هذا الحي على إثر احتلاله في العام ١٩٦٧. تزوج من فتاة في لبنان وله من الأولاد تسعة.

حاول مراراً وتكراراً التسجيل بالأتروا فلم يستطع رغم تسجيله في مديرية شؤون اللاجئين الفلسطينيين، فتحوّل بذلك هو وعائلته إلى فئة غير المسجلين. زوجة أبو اللين تشكي مما آلت إليه الأوضاع، فتذكر أن أولادها حاولوا في التسعينيات الانتساب إلى معهد سبلين لكنهم لم يستطيعوا بسبب المنع الذي كان سارياً في ذلك الوقت على فئة غير المسجلين، وكذلك لم يستطيعوا الانتساب إلى الجامعة بسبب الكلفة المادية العالية، مما اضطرهم للالتحاق بمعاهد ذات مستوى عادي.

حسام، الابن الأكبر، يقول أن أكثر ما يخشاه هو المشاريع التصفية التي تهدد أبناء هذه الفئة، ويعلل ذلك بأننا فئة قليلة نسبياً قياساً بعدد اللاجئين الكلي، وأي حلول تصفية كالتوطين أو التهجير أو التعويض ستلنا نحن أولاً كمقياس لردات الفعل. ويرفض حسام ما يُسمى بالحلول العادلة، بل المطلوب هو إعطاء الحقوق كاملة لأصحاب هذه الفئة على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من أبناء الشعب الفلسطيني. يضيف أبو اللين «نريد فقط الخدمات البسيطة لتساعدنا في الوقوف في وجه المشاريع التي تحاك ضد شعبنا». ويضرب مثلاً على الحرمان بأن راتبه أقل من راتب مرؤوسيه في العمل نتيجة عدم امتلاكه بطاقة إعاشة.

هذا بعض ما تعانيه هذه الفئة من الحرمان والتهميش، مما يستدعي تحركاً عاجلاً من المؤسسات الإنسانية، والأحزاب والمنظمات الفلسطينية لتكون فئة غير المسجلين على رأس أي حوار مستقبلي بين الفلسطينيين والحكومة اللبنانية. ■

حتى هذا التاريخ الذي هو فيه طريح الفراش، في بيته المتواضع في مخيم برج البراجنة، وقد بلغ من الكبر ما بلغ، وأولاده التسعة يتحلّقون حوله يخبرونا بعضاً من مآسيهم.

بسام محمد عبد الحي، يخبرنا أنه يجدد الوثيقة كل عام بتكلفة ١٠٠ ألف ليرة (حوالي ٧٠ دولاراً) وهو ليس بالأمر الهين على اللاجئين وخصوصاً غير المسجلين. ونحن محرومون من السفر إلى العديد من الدول نتيجة هذه الوثيقة. يضيف بسام «بالنسبة للتعليم فإننا نعاني من الإصدار المتكرر لأوراق تثبت أننا فلسطينيون، حتى نستطيع تسجيل أبنائنا بمدارس الأتروا، وهذا أمر مرهق في الوقت والمال. كما أن ابني محروم من أي منح قد تُعطى للمتفوقين من زملائه». ويؤكد بسام أنه حدث أن احتاج بعض أفراد عائلته لبعض العمليات (الزائدة، اللوز) ولكن الأتروا رفضت المساعدة، ورغم أن التكاليف قد تبدو زهيدة إلا أنها ليست كذلك بالنسبة لغير المسجلين، كما أن أخي الأصغر عصام كان قد أصيب بإصابات بالغة في الماضي ولكن وكالة الأتروا رفضت علاجه.

يتابع بسام «أصيب بيتنا أثناء حرب المخيمات بتدمير جزئي، ورفضت الأتروا المساعدة في الترميم، ممّا كلفنا الكثير من الجهد والمال». وفي قضايا العمل، والكلام لبسام، الكثير من الشركات ترفض توظيف من ليس لديه بطاقة إعاشة، ظناً منها أن وجوده في لبنان لا يأخذ طابعاً شرعياً. ويشير بسام إلى أنه في العام ١٩٨٥ «وبعد تخرجي بعام واحد، من قسم الهندسة، تقدّمت بطلب توظيف لإحدى الشركات في لبنان، وبعد أن أبدت موافقة مبدئية على التوظيف عادت ورفضتني بحجة عدم امتلاكي لبطاقة إعاشة». ويعتبر بسام عبد الحي أن الأتروا من كل ذلك أن مسؤولين في الأتروا عندما اشتكى لهم من معاناتنا قالوا إنه يجب أن نرضح لأن أي حل سياسي سيطيال الفلسطينيين في لبنان ستناولون حظكم منه أولاً، فهم يبشروننا بتصفية قضيتنا!

إبراهيم حسن الميعاري (أبو خالد)، شارك هو الآخر في كتائب الجهاد في العام ١٩٤٨، ومع دخول العصابات الصهيونية للقري والمدن الفلسطينية، أثر البقاء في بلدته (شعب) رغم الاضطهاد والمجازر التي رافقت الاحتلال. لكن في العام ١٩٥٥، أي بعد إحصاء الأتروا بثلاث سنوات، أبعدهت قوات الاحتلال إلى لبنان بعد أن علمت بمشاركته في أعمال المقاومة عام ١٩٤٨، ومواصلة انتقاده للاحتلال. حاول أبو خالد كثيراً من أجل التسجيل ولكنه لم يفلح بتاتاً، إلا أنه استطاع الحصول على بطاقات قيد الدرس في أواخر الخمسينات على أن يدفع ٣٠ ليرة لبنانية كل ثلاث سنوات عن كل بطاقة، وهو مبلغ لا يستهان به بمقاييس ذلك الوقت. وفي

أصحابها على إثقال كاهلهم بقروض كبيرة. أما بالنسبة لوثيقة المرور التي كانت من قبل بحوزة غير المسجلين فهي كانت بحاجة إلى تجديد كل عام في مديرية الأمن العام في لبنان، ولا يستطيعون تجديدها من خلال السفارات اللبنانية في الخارج. ويعني ذلك أن أبناء هذه الفئة إذا سافروا إلى أي بلد فإنه كان يجب عليهم العودة كل عشرة أشهر تقريباً من أجل تجديد وثيقة المرور وهو ما يلكفهم مبالغ طائلة.

ويتعرض أصحاب هذه الفئة أيضاً لابتزاز مالي من جهات عديدة، على وعد بأن يُعاد تسجيلهم في فئة المسجلين. والكثير منهم يخبرونك (مع طلب عدم الإفصاح عن أسمائهم) حكايات عن بيع بعض أثاث بيوتهم عليهم يستطيعون رفع بعض الحرمان عن كاهلهم بتحويلهم إلى فئة المسجلين، ولكن الحرمان زادهم حرماناً بفقدانهم مذكرات عمرهم أو بعض حاجيات بيوتهم.

وهناك العديد من فاقد الأوراق الثبوتية اضطروا تحت ضغط هذه الظروف المأساوية إلى نسبة أبنائهم لأقارب الوالدة، أي باسم الخال أو والد الزوجة، وبهذا فإن الأم بالحالة الأولى وبالشكل القانوني تكون عمّة ابنتها بينما فعلياً هي والدته، أو أختها في الحالة الثانية، وبهذا يكون اسمه مدرجاً على سجلات «الأتروا» بشكل رسمي ويستفيد من خدماتها، ولكن مع خوف دائم من معرفة السلطات الرسمية بالمخالفة القانونية التي سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة وسجن كل من شارك بهذه المخالفة والتي تشمل عدة أفراد من العائلة.

مجاهدون انتكبهوا

محمد محمود عبد الحي من بلدة (نحف) في فلسطين المحتلة، شارك في العمل الجهادي منذ العام ١٩٤٨، ومع التهجير انتقل إلى لبنان وترك أولاده الخمسة وزوجته في فلسطين. وواصل العمل الفدائي، فكان يدخل فلسطين وينفذ العمليات ويمرّ ليطمئن على عائلته. شغله العمل الفدائي عن التسجيل في الأتروا، وكان يرفض الاستقرار في لبنان أو في أي مكان آخر خارج فلسطين، وكان أمّله بالعودة يكبر. قبضت عليه السلطات اللبنانية في العام ١٩٤٩ وسجنته لعام واحد. وما إن أطلق سراحه حتى انتمى مجدداً إلى مجموعة فدائية وعاد يدخل وطنه من جديد، إلى أن قبضت عليه السلطات اللبنانية من جديد في العام ٥٧ وسجنته عاماً آخر. وخرج بعدها وقد شدّد الكيان الصهيوني مراقبته على الحدود فلم يعد بإمكان أبو لطفى الدخول إلى بلدته ووطنه وملافاة أولاده الخمسة وزوجته. ووجد أبو لطفى أن اسمه غير موجود في سجلات الأتروا، وبدأت رحلة البحث عن وثائق تؤهل لهذا التسجيل